رمضان وقوة الإيمان

من تقديم الأستاذة :

أناهيد بنت عيد السميري

ألقي في شعبان ١٤٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

– هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

– الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله الّذي شرع لعباده مواسم الخيرات ليغفر لهم بذلك الذّنوب ويكفر عنهم السّيئات، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له واسع العطايا وجزيل الهبات، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله سيد البريّات، أخشى النّاس لربّهم وأتقاهم وأفضل من سارع إلى الخيرات واغتنم القربات، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه من أولي العزم والثّبات، ومن سار على هديهم ونهج سنّتهم من الأحياء والأموات.

أمّا بعد، فإننا نشكر ربّنا العظيم الّذي قرب البعيد ويسّر الصّعب وجعل النّاس من أهل الإيمان، الّذين هم النّاس على الحقيقة، الّذين أكملوا إنسانيتهم بالإيمان، الّذين قيل عن قدواتهم السّابقين إنّهم "النّاس على الحقيقة" فقد قال الله –عزّ وجلّ– في وصف الصّحابة الكرام، السّلف الصّالح مخاطبًا المنافقين المبتعدين عن الطّريق السّليم، يقول مخبرًا عن حالهم سبحانه وتعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ}[1] نعم، إنّهم النّاس الكمّل الكاملين، قد أنعم الله –عزّ وجلّ– على المؤمنين بأن يكون قدواتهم هم النّاس الكاملين، الّذين كملوا إنسانيتهم بالإيمان، إنّهم الكاملون في الإنسانية، فإن المؤمنون هم النّاس في الحقيقة لجمعهم ما يعد من خواصّ النّاس وفضائله، فالحمد لله الّذي جعل للمؤمنين، للنّاس على الحقيقة أسبابًا يجتمعون بها. نحمد الله –عزّ وجلّ– على ذلك ونشكر من كان سببًا لعقد هذه الأمسية، نشكر إدارة التّنمية الأسرية ومراقبة التّوجيه الأسري، قسم التّوجيه الدّيني، في دولة الكويت الشّقيقة، نسأل الله للجميع التّوفيق والهداية والرّشاد، اللّهمّ آمين.

---

(١) سورة البقرة: ١٣.

نوصي أنفسنا بتقوى الله وملازمة مراقبته -سبحانه وتعالى- في السّر والعلانية، والاستقامة على شرعه واتباع رضوانه، والعلم اليقيني أن دين الإسلام هو دين القوّة والعزّة والكرامة، والمؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف، فقد ورد في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)[1] والمراد بالقوّة في هذا الحديث: قوّة الإيمان والعلم والطّاعة، وقوة النّفس، قوّة العزيمة، قوّة الإرادة، قوّة الشّكيمة، قوّة إزعاج النّفس ودفعها إلى الطّاعات، ويضاف إليها قوّة البدن إذا كانت معينة لصاحبها على العمل الصّالح، وإلّا فقد يكون البدن ضعيفًا والإيمان قويًّا، فيحمل الإيمان القويّ البدن الضّعيف.

وقد كان سلفنا الصّالح من الصّحابة الكرام، الّذين هم النّاس على الحقيقة مثال عظيم لذلك. وقد أورد النووي تعليقًا على هذا الحديث كلامًا ثمينًا فقال: "وَالْمُرَادُ بِالْقُوَّةِ هُنَا عَزِيمَةُ النَّفْسِ وَالْقَرِيحَةُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ أَكْثَرَ إِقْدَامًا عَلَى الْعَدُوِّ فِي الْجِهَادِ، وَأَسْرَعَ خُرُوجًا إِلَيْهِ وَذَهَابًا فِي طَلَبِهِ وَأَشَدَّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَاحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَرْغَبَ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ". هذا معنى أن يكون المؤمن القويّ خير من المؤمن الضّعيف. وقال النووي -رحمه الله- عند شرحه لحديث عائشة -رضي الله عنها- أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان ينام فإذا كان عند النّداء الأوّل قالت: (وَثَبَ)[2] فيعلق النووي يقول "قَوْلُهَا: وَثَبَ، أَيْ قَامَ بِسُرْعَةٍ، فَفِيهِ الاهْتِمَامُ بِالْعِبَادَةِ والإِقْبَالُ عَلَيْهَا بِنَشَاطٍ، وهو بعض معنى الحديث الصّحيح: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ". إذًا هذا هو معنى القوّة في الإيمان، من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٦).

هو المؤمن القويّ؟ هو القويّ في إيمانه، القويّ على أعمال البرّ ومشاقّ الطّاعة، الصّبور على تحمل ما يصيبه من بلاء، المتيقّظ في الأمور، المهتدي إلى التّدبير والمصلحة بالنظر إلى الأسباب واستعمال الفكر في العاقبة. فالمؤمن القويّ قويٌّ في تفكيره، يرى العواقب أمام عينيه فما يكون منه إلّا أن يتصوّر أثر عمله فيزعج نفسه للعمل، ويدفعها للعمل، ويفكر في الفرق العظيم بين خاتمة المؤمنين وخاتمة الكافرين، بين خاتمة المتّقين وخاتمة العاصين، يفكر في الملائكة الكرام وهي ترحب بالطّائعين وتحيّيهم على ما كان منهم من إقبال على الطّاعات في دنياهم. فالمؤمن القويّ في تفكيره يستطيع أن يتصوّر معنى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[1] فهؤلاء يكونون عند حالة الاحتضار في أفضل حال، ويكونون في حالة دخول الجنّة في أفضل حال. هذا في مقابل {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ} أتى منهم "الإلقاء" كأنّهم في تلك الحالة الصعبة انقادوا واستسلموا لأمره، لكن كذبوا فقالوا: {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ}، فيرد عليهم رد توبيخ: {بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فلا يفيد الإنكار والكذب، ثم يقولون لهم: {فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا}[2] نعوذ بالله.

فهذا المؤمن القويّ الّذي يقويّ نفسه بالإيمان ويقويّ نفسه على أعمال البرّ ومشاقّها، ويقويّ نفسه بالتفكير في العواقب، قويّ في فكره فيدفع نفسه للسّلامة ويبعد نفسه عن الخسارة، إذا علمنا أن هذا معنى المؤمن القويّ فإنّ من معاني الصّيام وآثاره المحمودة أنّه يبعث القوّة في نفوس الصّائمين، فتجد الإنسان يمتنع عن الطّعام والشّراب والجّماع وسائر المفطرات بإرادته، فتظهر إنسانيته الحقيقية في كونه يقدم خير الخيرين ويبتعد عن شر الشّرين، إذا كان الخلق يرون أنّ طعام أبدانهم

(١) سورة النحل: ٣٢.

(٢) سورة النحل: ٢٨.

وسقيها خير فإنه يرى منع نفسه عن هذا كلّه خير من إطعامها وسقيها، والسّبب: علمه بما سيجد عند ربّ العالمين، رغم أنّه اعتاد هذه المباحات سائر العام، إلّا أنّ قوّة الإيمان بالغيب تجعل المؤمن القويّ يتركها لله في نهار رمضان وابتغاء ما عنده من الأجر، وهذا انتصار عظيم للمسلم، وهذا انتظار عظيم للإنسان الّذي قد كملت إنسانيته بالإيمان، انتصار عظيم للمسلم على هواه وشهوته، تفوّق كبير على نفسه، وهو بذلك يهيء نفسه لتحمّل المشاقّ والقيام بالمهام الجسام من بذل وتضحية وإقدام في سبيل الله، من نشر للحقّ ومحاربة للباطل.

ولذا لما أراد طالوت -عليه السّلام- أن يقاتل أعداءه ابتلى الله قومه بنهر، وانظر كيف ظهر الصيام هنا، وفي القصّة المشهورة أن طالوت قال لقومه مبيّنًا تلك الحال الّتي أمره الله بها، وذلك الصّيام الخاصّ الّذي أُمِر به. قال لهم:

{إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ} هذا ابتلاء، والمطلوب منكم أن تكونوا صائمين عن أن تشربوا من هذا النّهر.

{فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي} أي: ليس من أشياعي الّذين يقاتلون معي عدوي ويجاوزون هذا النّهر؛ لأن الله يختبر قوّة إيمانكم فإذا كنتم أقوياء في الإيمان وتستطيعون أن تترفّعوا عن شهواتكم؛ أمدّكم بأسباب نصر الحقّ.

{وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي} من لم يذقه فهذا قد انتصر على نفسه، وهنا كان الصّوم عن هذا الماء، قال:

{إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ} الغرفة الواحدة الّتي سيغرفها لا يخرج بذلك من كونه منّي لأنه كأنه لم يذقه.

هنا انقسموا أقسام:

- {فَشَرِبُوا مِنْهُ} الضّعفاء شربوا إلى حد الارتواء.
- {إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ} وهم الأقوياء في إيمانهم، لم يشربوا إلّا كما أذن الله لهم، وقيل إن جماعة لم تشرب أبدًا.

فلما جاوزوا جميعًا النّهر الّذين شربوا من النّهر، الّذين أفرطوا في الشّراب {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}[1] كان الجزاء أن سلبت شجاعتهم، نجح أهل الصّبر والقوّة وفاز منهم من غلب هواه وقهر نفسه، وتخلّف عن متابعة الشّهوات، وتخلّف عن متابعة الدّاعين إلى الشّهوات، وتخلّف عن متابعة عبدة الشّهوات المقهورون تحت سلطان طبائعهم، المأسورون في سجن هواهم، من نجح هم أهل الصّبر والقوّة، ما كانوا أقوى منهم بدنًا وإنّما كانوا أقوى منهم في عقيدتهم، وفي إيمانهم بالغيب، وفي امتثالهم لأمر ربّهم، وفي حبس نفسهم عن الأهواء، وما ضاع النّاس إلّا بسبب أهوائهم، وبسبب مصاحبتهم لمن يضّعف قوتهم، إن العقيدة الصّحيحة زاد لا ينفد ومَعين لا ينضب للنشاط الموصول والحماسة ولاحتمال الصّعاب ولمواجهة الشّدائد، وهذه طبيعة الإيمان؛ إذا استقرت في الجنان تغلغلت واستمكنت فتضفي على صاحبها قوّة تظهر وتنطبع في سلوكه كلّه، فإذا تكلم كان مليء بالحقّ، جريء بالحقّ، وإذا اشتغل كان قصده الربّ -سبحانه وتعالى- وإذا اتجه كان واضحًا في هدفه مخلصًّا في عمله، فالمؤمن الحقّ لا يكترث بأمر ليس له من دين الله سداد ولا يستسلم لهواه، ولا يذلّ لغير الله، ولا يستعبد لشهوة أو مخلوق أو مرتبة أو منصب، لا يصبح مسترقًّا لشهواته وملذاته.

وهذا الشّهر هو شهر القوّة والعزيمة، ومن أشهر الأحداث في هذا الشّهر -وهذا لا يغيب عن شريف علمكم- ما جرى للمسلمين في معركة بدر، هذه المعركة العظيمة الّتي لم يكن المؤمنون وقتها متفوقين على الكافرين في العدد، وإنّما نزلوا ساحة المعركة بقوّة إيمانية كبيرة، وأمدّهم ربّهم بالملائكة لينصرهم على عدوّهم، وانجلت المعركة بين الحقّ والباطل، بين الفئة المؤمنة والكثرة الكافرة، انجلت عن نصر كبير للمسلمين، سبعين من المشركين يُقتلون وسبعين يؤسرون ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلًا، وسمّيت هذه الغزوة بيوم الفرقان، كما ورد في القرآن، السؤال: ماذا كان يملك

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

المسلمون عند منازلتهم للكفار؟ بأي شيء امتازوا؟ إنّهم كانوا يملكون قوّة العقيدة، قوّة الخلق، قوّة الرّوح، وهذا ما لا يملكه أهل الكفر، فهُزِم أعداء الله هزيمة نكراء أثبتها القرآن وبيّنها كما في سورة الأنفال.

وهذا كلّه يبيّن أنّ القوّة قوّة الإيمان، وهذا الشّهر مليء بالمعارك: اليرموك والقادسية وحطين، لكن هذا يلفتنا إلى أنّ أهل هذه المعارك كانوا يتخلقون بخلق الصّائمين من عفّة وسموّ، وتضحية وتحمّل للشدائد، وخضوع لله واستعلاء على كلّ ما سواه. هل تظنّون أنّه يمكن أن يثبتوا لو أنّهم خاضوا هذه المعارك بنفوس المنهزمين الّذين تغلبهم الشّهوات وتأسرهم الملذّات ويريدون الرّاحة بعد الرّاحة، وتستحوذ عليهم الشّياطين فلا يستطيعون مقاومة الجّوع والعطش ساعات معدودة؟! لا والله إن الصّيام الّذي فرضه الله على المسلمين يجمع للمسلم بين قوّتين:

- قوّة الإيمان، قوّة معنوية.
- ثم يأتي هذا الصّيام بقوّة بدنية من الناحية الصّحية.

فالصّيام يعطي المسلم قوى معنوية متنوعة، سبب لسعادة الإنسان، فالصّيام يثير في النّفس هذه المكامن الموجودة فيها من قوّة الصّبر والتّحمّل ومن قوّة الالتزام بالوقت ومن قوّة الطّاعة ومن قوّة الإيمان. فالمؤمن القوّي يحرص في رمضان على اكتساب الفضائل واغتنام الصّالحات، ولا يشغله عن ذلك ولا يصرفه عن ذلك ما شُغل به غيره من متابعة برامج اللّهو والتّلاهي الّتي تدنّس أجواء هذا الشّهر الكريم وتحجب العطايا الربّانية الإيمانية، ولا يصل إلى هذه الحال من السّفه والتّفريط والإضاعة إلّا من ضعفت نفسه، وأوقعه الشّيطان في حبائله؛ ولذلك لا زلنا ندور حول المؤمن القويّ والمؤمن الضّعيف. فحين يضعف المؤمن ويضعف إيمانه بالغيب؛ يوقعه الشّيطان في حبائله ويجعله ينتهك حرمة الشّهر ويصبح هؤلاء صرعى مخدّرين أمام هذه السّموم، وأنتم ترون وتشهدون وتعرفون أنّ الشّيطان يجلب علينا بخيله ورجله،

فالضّعفاء ينهزمون، فيصبحوا عاجزين أن ينتفعوا من هذا الشّهر الكريم أو أن يغتنموا ساعاته.

الإنسان لو فكر أي خير يمكن أن يكون في حياته إذا ذهبت مواسم الطّاعات وشهد النّاس أعظم المرابح وأجلّ القربات وهو لا يبالي ولا يهتم ولا يشعر بالخسارة، بل هو غافل؟ ولابن القيم كلام جميل في هذا المعنى يقول: "لا شيء أقبح بالإنسان من أن يكون غافلًا عن الفضائل الدّينية، والعلوم النافعة، والأعمال الصّالحة، فمن كان كذلك فهو من الهمج الرعاع، الّذين يكدرون الماء، ويغلّون الأسعار، إن عاش، عاش غير حميد، وإن مات، مات غير فقيد، فقدهم راحة للبلاد والعباد، ولا تبكي عليهم السّماء ولا تستوحش لهم الغبراء." لأنّ من فوّت هذه المغانم العظيمة الّتي أنعم بها ربّ العالمين يكون عدمه مثل وجوده.

فينبغي لنا أن نأخذ خطوات عملية لنكون من الأقوياء، وينبغي لنا أن نعلم، في رمضان خصوصًا، أن لله مرادًا منّا، وأن لبعض النّاس مرادًا آخر غير الّذي يريده الله منّا {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا}[1] الله وحده يريد أن يتوب عليكم ويتجاوز عن خطاياكم، ويريد الّذين ينقادون لشهواتهم وملذّاتهم أن تنحرفوا عن الدّين انحرافًا كبيرًا، وتبتعدوا عن طريق الاستقامة بعدًا شديدًا، وتنصرفوا عن الحقّ إلى الباطل فتركبوا المعاصي وتفعلوا ما يحرم الله. فلا بدّ من خطوات عملية لأجلّ أن نصل إلى قوّة الإيمان الّتي تجعلنا ذلك المؤمن القويّ، وإلّا نكون من الّذين أعرضوا عن دعوة الله لنا، وعن مراد الله منّا واستجابوا للّذين يتبعون الشّهوات، وصرفوا الأوقات في هذه الأيام المعدودات فيما لا يعود عليهم بالنّفع والخيرات، بل بما يورّثهم الحسرات.

رمضان شهر يعلمنا أن نكون أصحاب عزائم قويّة وهمم عالية فلا نضعف أمام الشّهوات ولا نذلّ أمام الحاجات، ولا ننساق وراء دعوات المبطلين وآرائهم

(١) سورة النساء: ٢٧.

فننصرف عن عقيدتنا وأفكارنا ومبادئنا وقيمنا، وننشغل بسمومهم عن استثمار وقتنا في النّافع. فلا بدّ أن نعرف علامات المؤمن القويّ ونبذل جهودنا بالدّعاء وبما يتيسّر لنا اليوم الكلام عنه، ونبذل جهودنا في أن نكون أقوياء.

بقي عليّ نقطتين:

النّقطة الأوّلى: أن نقول ما هي العلامات الّتي تدلّ على قوّة المؤمن؟

النّقطة الثّانية: أن نقول ما هي الأعمال الّتي أفعلها اغتنامًا لشهر شعبان من أجل أن أتقوى لرمضان بالإيمان؟

نقول: إنّ للمؤمن القويّ علامات تدلّ على قوّته، وقوّته هنا كما اتفقنا هي قوّة إيمانه. العلامة المهمة جدًا هي: المبادرة بفعل الخيرات، الاجتهاد في العبادات، واغتنام القربات. هذا المؤمن القويّ يغتنم قوته البدنية والفكرية لمرضاة الله.

إذًا هذا العلامة الأولى: الاجتهاد، المبادرة، الاغتنام.

العلامة الثانية: أن المؤمن القويّ صاحب إرادة قوية وصاحب همّة عالية وعنده شجاعة. هذة الشّجاعة تجعله يدخل حرب مع الشّيطان، والشّجاعة تجعله يغلب الشّيطان، يأتي يريد أن ينام فيقول له الشّيطان: (الآن ليس وقت الأذكار، ففكر هذه الفكرة حتّى يأتيك النّوم) ويشعر الإنسان أنّه ثقيل عليه قول الأذكار، لكن علامة المؤمن القويّ: أن يهزم الشّيطان ويصرّ على ذلك.

يسمع مثلًا حديث: (لَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)[1] فيجد في نفسه ضعف أن يجدد وضوئه في كلّ وقت والشّيطان يحاربه ويحاربه لكن هو قويّ شجاع لا يعطي للشيطان فرصة، ولا يدعه يكذب عليه، فيهرول إلى الأعمال. إذًا المؤمن القويّ صاحب إرادة قوية وصاحب شجاعة خاصّة في حربه مع الشّيطان، ومثل ما يقول الشّاعر:

فإن أمرض فما مرض اصطباري وإن أُحْمَم فما حُمّى اعتزامي

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٧٨).

معنى ذلك: أنّه إذا كان هناك مرض فهو في بدني لكن صبري وعزمي ما زالوا على ما كانوا في وقت الصّحة، والطّمع في ربّ العالمين عظيم أنّه -سبحانه وتعالى- إذا رأى جهد العبد وشجاعته وقوّة استعانته بربّه مدّه بالقوّة ونجحه في الاختبار وأصبحت الطّاعات من صميم حياته فلا يستطيع أن يستغني عنها، وحبس عنه الشّيطان في هذا الباب.

إذًا علامات المؤمن القويّ:

١. **المبادرة بفعل الخيرات والاجتهاد في العبادات واغتنام القربات.**

٢. **أنه صاحب إرادة قوية، وهذه الإرادة القوية تجعله شجاعًا في محاربته للشيطان وقويّا في استعانته بالرّحمن.**

٣. **أنه يضبط نفسه ويكبح جماحها وخاصّة عند الانفعالات وخاصّة عند خروجها عن طبيعتها وتعرضها للمواقف العصيبة.**

لذا في الحديث (لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ؛ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)[١] يعني ليس القويّ الّذي يصّرع النّاس إذا صارعهم لكن الشّديد حقيقة القويّ حقيقة: الّذي يصّرع غضبه، إذا غضب غلب غضبه؛ ولذلك في الحديث: (إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) هذا هو القويّ، هذا هو الشّديد، إن كان قويًّا غلب نفسه، وإن كان ضعيفًا غلبه الغضب وربما تكلم بكلمة ندم عليها في حياته كلّها، هذه القوّة تظهر في رمضان في الصّيام؛ لذلك من الآداب العظيمة الّتي يرعاها المرء عند الصّيام: ترك المراء، ترك السّباب، ترك الغضب، ترك المشاتمة، لا تثيره الأمور ولا تغضبه، ولا يخرج من طوره في المضايقات والخصومات والمشاحات خصوصًا الّتي تكون على منافع الدّنيا ومصالحها.

٤. **أن تكون عنده حَميّة في الدفاع عن الحقّ.**

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤).

فالمؤمن القويّ يحبّ أن ينصر الحقّ، يحبّ أن لا تنتهك محارم الله، مشغول بنشر الحقّ، مشغول ببيان الحقّ. فهذه علامة مهمة للمؤمن القويّ.

الآن إذا عرفنا هذه الأربع علامات كيف نصل إلى أن نكون مؤمنين حقًا؟ وكيف نستفيد من هذا الشّهر الّذي نحن فيه لأجل أن نكون قد استفدنا من هذه الفرصة العظيمة قبل أن يدخل علينا شهر رمضان وقبل أن تزدحم الأعمال ولا ندري ما نفعل في وقتها.

على كلّ حال شهر شعبان تحصل فيه الكثير من الغفلة، والنّاس تجدهم يلتفتون إلى هذا الشّهر ويستعدون لرمضان ولكن غالبًا يستعدون بالأشياء المادية. في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْراً مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ.) قَالَ: (ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ)[1]. فشهر شعبان، ميدان أيضًا للاستعداد والتّهيؤ لاستقبال رمضان، فالنّفس تحتاج إلى رياضة وتدرج ومقدمات والسّموّ والارتفاع يحتاج إلى سلّم وممهدات، وقد تُجمع النّفس لكن يكلّ البدن ويفتر الإنسان عن العبادة بسبب عدم التّدرج فيحصل حرمان اللذّة.

فماذا نفعل في هذا الشّهر المبارك؟

أبواب الخير بحمد الله مفتوحة، والله لا يضيّع أجر من أحسن عملًا، وأعمال البرّ المطلقة غير مقيّدة بزمان ولا مكان، وهي أنواع كثيرة، أهم شيء أن لا نغفل لأن الغفلة هي الدّاء العضال، الغفلة هي الّتي تقطع الصلّة بين العبد وربّه فلا يشعر بإثمه ولا يقلع عن وزره ولا يتوب عن ذنبه، نسأل الله أن يعيذنا من الغفلة.

إذًا أوّل الأحوال الّتي يجب أن يكون عليها المؤمن من أجل أن يقوى إيمانه: **هي حالة التّوبة.**

---

(١) أخرجه النسائي: (٢٣٥٦).

في هذا الشّهر علينا أن نكرّر التّوبة والاستغفار، نكثر من التّوبة إلى الله والاستغفار عمّا عرفنا من الذّنوب وعمّا لم نعرف، عمّا نذكر وعمّا لا نذكر، عمّا ميّزنا وعمّا لم نميّز من الذّنوب. هذا أوّل وأهم أمر، لا بدّ من تطهير الفؤاد بالتّوبة النّصوح.

إذا طهر الفؤاد بالتّوبة النّصوح تيسّر بعد ذلك أن يطلب الإنسان أهم سبب لزيادة وقوّة الإيمان وهو: قراءة القرآن وعبادة الرّحمن بالصّلاة، بالصّيام، بالصّدقة. فقراءة القرآن بنفسها سبب لزيادة الإيمان خصوصًا لو كان نهج الإنسان فيها أن يتعرف على الرّحمن من خلال آيات القرآن. فلنزد وردنا ولنزد تأمّلنا ولنزد تعلّمنا، ولنزد في برّنا وصدقاتنا ولنزد في أيام صيامنا، على من يتيسّر له الصّيام، وفي الصّدقة على من يتيسّر له الصّدقة.

ولنبدأ في هذا كلّه أي في الجمع بين:

- التّوبة وهي تطهير المحل.
- وبين العلم المتمثّل في قراءة القرآن.
- وبين العمل الصّالح المتمثّل في الصّلاة والصّيام والصّدقة.

نبدأ أوّلًا بالجهاد ومعرفة أن نفسنا الأمارة بالسّوء هي أولى من نجاهد، لا بدّ لنا من مجاهدة هوانا ونفسنا الأمارة بالسّوء لننال الهداية من الله {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[1] في الحديث الّذي رواه الإمام أحمد (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ)[2] ولابن القيم تعليق لطيف على هذا الحديث يقول فيه " وَلَمّا كَانَ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللهِ فِي الْخَارِجِ فَرْعًا عَلَى جِهَادِ الْعَبْدِ نَفْسِهِ فِي ذَاتِ قَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ كَانَ جِهَادُ النّفْسِ مُقَدّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوّ فِي الْخَارِجِ وَأَصْلًا لَهُ فَإِنّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوّلًا لِتَفْعَلَ مَا أُمِرْت بِهِ وَتَتْرُكَ مَا

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٠١٣).

نُهِيت عَنْهُ وَيُحَارِبُهَا فِي اللهِ لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْخَارِجِ" إذًا نحن نحتاج المداومة على التّوبة والاستغفار، والعلم بقراءة القرآن وفهمه، والعمل الصّالح بالطّاعات ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، لكن هذا كلّه مع بيان مفهوم المجاهدة وأن لا تترك نفسك على هواها، وكما أن علينا المجاهدة فعلينا بالصّبر والمصابرة.

قال ابن رجب رحمه الله: "فهذا الجهاد يحتاج أيضًا إلى صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه، غلبه وحصل له النصر والظّفر، وملك نفسه، فصار عزيزًا ملكًا، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك، غلب وقهر وأسر، وصار عبدًا ذليلًا أسيرًا في يدي شيطانه وهواه".

فلنجتهد جميعًا بمجاهدة أنفسنا ولنعمل جميعًا ما نستطيع في طاعة ربّنا، ولنغتنم هذه الأيام في الاستعداد لاستقبال هذا الشّهر الكريم، وما أسرع تصرّم العمر القصير، فالغنيمة الغنيمة قبل فوات الآوان والمرابحة المرابحة قبل حلول الخسران. اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللّهمّ أمنّا في الأوطان والدّور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتّقاك واتّبع رضاك يا ربّ العالمين. اللّهمّ وفقنا جميعًا لما تحبّه وترضاه من الأقوال والأفعال يا حيّ يا قيّوم، وخذ بناصيتنا للبرّ والتّقوى، اللّهمّ ألّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السّلام، اللّهمّ آمين.

اللّهمّ تقبل منّا توباتنا واغسل حوباتنا وأعنّا على الجهاد وارزقنا الصّبر وبلّغنا شهر رمضان؛ صيامه وقيامه وصالح أعماله، وتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا.

اللّهمّ اجعلنا في رمضان من الفائزين واجعلنا عندك من المقبولين المقربين، واجعل شهرنا شهر خير وبركة ونصر وعزّ علينا وعلى الأمّة يا ربّ العالمين.

واجعلنا ممن صام وقام رمضان إيمانًا واحتسابًا فغفرت له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته